الفصل التمهيدى

إقليم خوارزم جغرافيا وتاريخيا

●●●●●●●

أولا: إقليم خوارزم جغرافيا

******

١ - التسمية فى اللغة والاصطلاح:

أ - التسمية فى اللغة:

خوارزم: أوله بين الضمة والفتحة[١]، والألف مسترقة مختلسة، ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفظون به[٢].

ب - التسمية فى الاصطلاح:

أثناء الفتح العربى الإسلامى لإقليم خوارزم، كان يتكون من ثلاث مدن[٣]، أحصنهم مدينة الفيل[٤] يقول ابن خرداذبة[٥]: خوارزم اسمه فيل، وفيل حسب قول البيرونى[٦]: فير «هذا الفير قلعة على طرف إقليم خوارزم مبنى من طين ولبن بعضه فوق

---

(١) ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبد الله الحموى الرومى البغدادى، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان قدم له محمد عبد الرحمن المرعشلى، ٤ مجلدات فى ٨ أجزاء، ط١، دار إحياء التراث العربى، مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مج٢، ج٣، ص ٢٥٢، دائرة المعارف الإسلامية، عدة مجلدات، القاهرة، بدون، مج٩، ص٣، مادة خوارزم.

(٢) ياقوت الحموى: المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص ٢٥٢.

(٣) ابن أعثم الكوفى: (أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى)، ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، كتاب الفتوح، ٨ مجلدات، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، بدون، مج٧، ص ٢٣٦.

(٤) الطبرى: (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى)، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، ط٥، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج٦، ص ٤٧٠.

(٥) (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله)، ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، المسالك والممالك، ليدن، إبريل ١٨٨٩، ص ٢٣.

(٦) (أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى)، ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، بدون، ص ٣٥، بارتولد: (فلاديميروفتش بارتولد)، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربى، الكويت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٥١.

obeikandi.com

بعض متوالى فى العلو، وأعلاه قصر الملوك، وكان بالوسع رؤية هذا الفير من مقدار عشرة أميال[١] أو أكثر، فحطمه[٢] نهر جيجون»[٣].

وورد فى مخطوطة محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى[٤] المتوفى ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م: «أن الإقليم الذى حطمه جيحون اسمه منصورة فرات»، والمنصورة هذه هى إقليم خوارزم القديم، وكان على شرقى جيحون[٥].

ويقول ياقوت الحموى[٦]: كان إقليم خوارزم يقال له فيل قديما، ثم قيل له المنصورة، وكان فى شرقى نهر جيحون فغلب عليه وخربه.

---

(١) الميل: ثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك والذراع ثلاثة أشبار والشبر ستة وثلاثون إصبعا والإصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض، وقيل الميل ألفا وثلاثمائة وثلاثون خطوة، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج١، ص٣٩، الميل: ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع، ناصر خسرو علوى القباذيانى: ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، سفر نامه، ترجمة د/ يحيى الخشاب، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٨١، وقيل الميل ثلاثة آلاف خطوة، والخطوة: ذراع ونصف. محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥٧٨.

(٢) البيرونى: الآثار الباقية، ص ٢٥١، بارتولد: تركستان، ص ٢٥١.

(٣) نهر جيحون: كان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أى إيران وتوران، فما كان فى شماله، أى ورائه من أقاليم، قد سماها العرب ما وراء النهر (وهو نهو جيحون) وكذلك سموها الهيطل، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ط١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص ٤٧٦ وهو نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى إقليم خوارزم، ويمر على مدنه وقراه، ولا ينتفع بهذا النهر من هذه البلاد التى يمر بها الأخوارزم؛ لأنه يستقبل عنها ثم ينحدر من خوارزم حتى ينصب فى بحيرة تعرف ببحيرة خوارزم، وهى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء حتى يصير الجمود نحو خمسة أشبار، فيحفر أهل خوارزم فيه آبارا، حتى يخرقوه إلى الماء الجارى، ثم يستقوا منه الماء لشربهم، وإذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق، ويعلوه التراب، ويبقى على ذلك شهرين، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ١٠١: ١٠٢، الأبشيهى: (شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى)، ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، المستطرف فى كل فن مستظرف، شرحه ووضع هوامشه د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٤٠٨.

(٤) تاريخ خوارزمشاة، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٨٣ مجاميع، ميكروفيلم رقم ٥١٧٠، ورقه ٤.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٣٣٠.

(٦) معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص ٤٥٣.

وفى زمن الأصطخرى[١]: أن الإقليم الذى حطمه جيحون، كان يسمى بالخوارزمية كاث، وهى قصبة خوارزم، ولما خربها النهر، بنى الناس من وراء المدينة، وقد قارب النهر القلعة، ويخاف على تهدمها، والمسجد الجامع على ظهر القلعة، ودار خوارزمشاه عند المسجد الجامع، والحبس عند القلعة.

وفى زمن ابن حوقل[٢]: أن كاث هذه خربها النهر وأتى على القلعة والجامع، فلم يبق منها رسم ولا طلل.

وفى وصف المقدسى لكاث[٣]: «أن كاث تسمى شهر ستانة، وأن لها جامع فى السوق، وأن القلعة خربها النهر». واسمها فى زمن ياقوت الحموى[٤]: «نوزكاث ومعناها بلغة الخوارزمية – الجديدة – وكأن معناها الحائط الجديد، فكأنهم قالوا كاث الجديدة».

وكان يحكم كاث، من نسل الأكاسرة، الشهيد أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عراق بن منصور ابن عبد الله بن تركسباثة بن شاوشفر بن اسكجموك[٥] بن أزكاجوار بن سبرى بن سخر بن أرثموخ. وارثموخ هذا كان الحاكم حين بعث الرسول ﷺ[٦]، وظل أبى عبد الله يحكمها حتى عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، عندما استخلها منه بعد أن قتله مأمون بن محمد حاكم كركانج[٧]، كما يسميها أهل خوارزم، وهى بالضم ثم السكون وكاف أخرى وبعد الألف نون ساكنة يلتقى بها ساكنان، ثم جيم[٨]، وكركانج اسم لمدينتين

---

(١) (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعرف بالكرخى)، المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع، المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحينى، راجعه محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، الإدارة العامة للثقافة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ١٦٨.

(٢) (أبى القاسم بن حوقل النصيبى)، ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، بدون، ص ٣٩٥.

(٣) (أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء البشارى)، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د/ محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٢٩.

(٤) معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٠٧.

(٥) اسكجموك: عينة قتيبة بن مسلم حاكما على إقليم خوارزم، عندما فتحه للمرة الثانية بعد ارتداد أهله البيرونى: الآثار الباقية، ص ٣٥.

(٦) البيرونى: الآثار الباقية، ص ٣٥.

(٧) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله عن الفارسية وعلق عليه د./ محمد علاء الدين منصور، راجعه د/ السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٠هـ-١٩٩٠/ م، ص١٧٦.

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٣١.

بخوارزم، أحدهما كركانج الكبرى، والأخرى كركانج الصغرى، وبينهما عشرة أميال[١] وكانت كركانج قصبة خوارزم الثانية إلى أن أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الإقليم[٢]، وقد عربت وسماها العرب الجرجانية[٣]، وجرجانية بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة[٤].

ويكاد يجمع المؤرخون والجغرافيون: أن اسم خوارزم ليس اسمًا للمدينة إنما هو اسم للإقليم[٥]. وقد ذكروا فى سبب تسميته بهذا الاسم «أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمائر مائة فرسخ[٦] فلم يجدوا على هذه الصفة إلا موضع مدينة كاث، وهى إحدى مدن خوارزم فجاءوا بهم إلى هذا الموضع، وتركوهم وذهبوا، فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك، فأمر قومًا بكشف خبرهم، فجاءوا فوجدوهم قد بنوا أكواخًا ووجدوهم يصطادون السمك، وبه يتقوتون وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم كيف حالكم، فقالوا عندنا هذا اللحم، وأشار إلى السمك وعندنا هذا الحطب، فنحن نشوى هذا بهذا ونتقوت به، فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمى ذلك الموضع «خوارزم» لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم[٧] فصار خوارزم، فخفف وقيل خوارزم استثقالا لتكرار الراء[٨].

---

(١) أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر)، ت ٧٣٢هـ١٣٣/م، تقويم البلدان، صححه وطبعة رينود، مال كوكين ديسلان، طبعة: باريس، ١٨٤٠م ص٤٧٩.

(٢) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩١ .

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٣١، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٤٧٩، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩١.

(٤) ابن خلكان: (أبى العباسى شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)، ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/ إحسان عباس، ٨مجلدات، دار صادر، بيروت، مج٥، ص١٧٤.

(٥) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص١٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٩٥.

(٦) الفرسخ: فقد اختلفت فيه الآراء . فقال قوم هو فارسى وأصله فرسنك . وقال اللغويون الفرسخ عربى محض، وقيل الفرسخ أثنى عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة، وهى ستمائة ذراع عادية. وقال قوم الفرسخ سبعة آلاف خطوة، أى أن الفرسخ ثلاثة أميال ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج،١، ص٣٩، الفرسخ: (فرسنك)، وهو تسعة آلاف ذراع بذراع القدماء وأثنى عشر ألفا بذراع المحدثين، ناصر خسرو: سفرنامه، ص,١٨١

(٧) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٨، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٥٣، ٢٥٢، القزوينى: (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، دار صادر – بيروت، لبنان، بدون، ص ٥٢٠.

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص٢٥٣.

وبذلك فقد أطلق على إقليم خوارزم، عدة أسماء، فيل والمنصورة، وكاث ثم الجرجانية، ولكن الاسم الشائع والغالب هو خوارزم، فأصبح يطلق على الإقليم كله.

٢ - الموقع والحدود

يجمع المؤرخون والجغرافيون: على أن إقليم خوارزم منقطع عن خراسان[١]، وعن ما وراء النهر[٢]، وتحيط به المفاوز[٣] من كل جانب يحيط به من الشرق نهر جيحون، الذى يفصله عن ما وراء النهر[٤]، أما غرب خوارزم فيحيط به بعض بلاد الترك[٥]، وفى الجنوب يحيط به بلاد الترك الذى تفصله عن خراسان، أما فى الشمال فيحيط به بحيرة خوارزم التى تفصله عن بلاد الترك[٦].

أى أن إقليم خوارزم يشقه نهر جيحون إلى نصفين، نصف يقع فى خراسان، ونصفه الآخر فى بلاد التركستان[٧] أو آسيا الوسطى[٨].

---

(١) خراسان: معناها فى اللغة الفارسية القديمة «أرض الشرق» السلمى (أبى عبد الرحمن السلمى)، ت ٤١٢هـ/ ١٠٢١م، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٣ وخراسان بلاد واسعة، ومن الناس من يدخل أعمال ومدن خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر وليس الأمر كذلك. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢١٨، وما بعدها، مادة خراسان ولمزيد من التفاصيل راجع المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤ - ٢٥١، القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٦١، ٣٦٣.

(٢) ما وراء النهر: ناحية عريضة وأعمال واسعة ومدن كثيرة، وهى آخر جيحون وليس بعدها على النهر عمارة حتى يقع ما وراء النهر فى بحيرة خوارزم. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، الحميرى: (محمد بن عبد المنعم الحميرى)، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، ط٢، مطبعة هيرلبرغ، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٢٥.

(٣) المفاوز: هى صحراء قليلة العمارة والسكان والمدن والقرى، ويكثر بها اللصوص، كما أنها ليست فى حيز إقليم بعينه، فيرعاها هذا الإقليم بالحفظ، كما يصعب سلوكها بالخيل، وإنما تقطع بالإبل، الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٣٣، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٤٠، لمزيد من التفاصيل راجع المقدسى أحسن التقاسيم، ص ٣٦٨.

(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الخريطة (١٠)، مقابل ص ٤٨٩.

(٥) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٧.

(٦) أبو الفدا: نفسه، ص ٤٧٧، لسترنج: نفسه، الخريطة (١٠).

(٧) تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك. القزوينى: آثار البلاد، ص ٥١٤، ٥١٨.

(٨) آسيا الوسطى: هى بلاد التركستان أو بلاد ما وراء النهر، وهى شبه منحرف من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربى هضبة البامير، ومن الغرب جبال تيان شان، ومن الشمال جبال الآلتاى وبابلوزى، وستانوفوى، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور، وتبلغ مساحتها المحصورة بين هذه الحدود إلى ٦ مليون كم٢، وهى فى مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب الجعدة والمنخفضات، وكان العنصر التركى والمغولى والصينى أهم عناصر سكانها. انظر بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، مكتبة الأنجلو=

ومن هذا الموقع الجغـرافى يتضح أن إقليم خـوارزم يقع على جانبى جيـحون[١]، وكـانت قصـبتـه العظمى فى الجـانب الشـرقى لخوارزم، الجنوبى مـن جيـحون مـدينة الجرجانية[٢].

وقد استخـدم الجغرافيون المفاوز المحيطة بإقليم خـوارزم لتحديده، وأن أول حدود خوارزم من ناحية ما وراء النهر فى الشرق نوكفاغ[٣]، وكانت وسط الأنهار وتقع جنوب كاث[٤]، أما الجرجانية هى حد خوارزم من الغرب، وهى غرب جيحون[٥].

وقد عدد الأصطخرى مدن وقرى كاث خوارزم حتى وصل ألى قرية براتكين شمال خوارزم[٦] أما فى الجنوب فأول حـدود خوارزم من ناحية خـراسان بعد أمل[٧]، يسمى الطاهرية[٨]، على أنة فى القرن الحادى عـشر الميلادى، الخامس الهجـرى - بداية العصر السلجوقى - كانت درغان تعتبر أبعد مدن خوارزم من هذه الناحية[٩] حيث يقول ياقوت الحموى[١٠] «درغان أول حدود خـوارزم من ناحية أعلى جيحـون دون أمل وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها».

٣ - المساحة:

ليس من السهل تحديد مساحة إقليم خوارزم، نظرا لاختلاف المؤرخين والجغرافيين فى تحديد مساحته.

=المصرية، سنة ١٩٥٨م، ص ١ - ٥، محمد عبد العظيم: مراكز التجارة فى آسيا الوسطى، بحث نشر ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠م، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٧.

(٢) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوثل: صورة الأرض، ص ٣٩٥.

(٣) نوكفاغ: من مدن كاث المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، وورد ذكرها نوكباغ عند بارتولد: توكسان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ٢٥٧.

(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الخريطة (١٠)، مقابل ص ٤٨٩.

(٥) ابن رسته: الأعلاق النفسية، ص ٩١، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩.

(٦) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ١٦٩، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، ٣٩٧.

(٧) آمل: مدينة من مـدن خراسان تـقع على شط جيحـون، وبها ميـاه جارية وبساتيـن وزروع ومنها طريق خراسان إلى ما وراء النهر وخوارزم ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٦.

(٨) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص ٢٧٥.

(٩) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٢٤٨.

(١٠) معجم البلدان: مج٢، ج٤، ص ٢٩٧.

فقد قيل أن إقليم خوارزم طوله مائة وسبع عشر درجة وثلاثون دقيقة[١] وعرضها خمس وأربعون درجة، وقيل أن خوارزم طوله إحدى وتسعون درجة وخمسون دقيقة وعرضه أربع وأربعون درجة وعشر دقائق[٢].

ويقول أبو الفدا[٣]: إن طول خوارزم أربع وثمانون وخمس دقائق والعرض اثنتان وأربعون وخمُس درجة وأربعون دقيقة، وأن بحيرة خوارزم من حيث الطول ثمان وثمانون وقيل تسعون، أما العرض ثلاث وأربعون. أما الاصطخرى[٤] فيقول «إن دور بحيرة خوارزم فيما يلغنى فإنه فرسخ، على ما يتواطأ عليه أهل الخبرة.

إن هذا الاختلاف فى الطول والعرض سببه أن الرحالة نقلوا من الكتب القديمة.

وهى غير متفقة وفى ذلك يقول أبو الفدا[٥]: أنه نقل من مجموعة من الكتب وهى غير متفقة فحدث الاختلاف فى الأطوال والعروض.

ومن هذا الاختلاف أيضًا ما قاله القلقشندى[٦]: إن طول الجرجانية أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة.

ويقول الحميرى[٧]: أن الجرجانية هى المدينة الكبرى والقاعدة العظمى وهى كبيرة عامرة طولها تسعة أميال فى مثلها.

٤ - المناخ:

يجمع المؤرخون والجغرافيون على أن إقليم خوارزم من أبرد الأقاليم الإسلامية فى خراسان وما وراء النهر خاصة فى الشتاء. وفى ذلك يقول الأصطخرى[٨]: أبرد ما على

(١) الدرجة والدقيقة: «تستخدم فى تحديد الطول والعرض، وقيل أن الدرجة هى قدر ما تقطعه الشمس فى يوم وليلة من الفلك وفى مساحة الأرض خمسة وعشرون فرسخًا، وتنقسم الدرجة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية والثانية إلى ثالثة وترقى كذلك» ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج١، ص ٤١.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٥٢.

(٣) تقويم البلدان: ص ٦١، القلقشندى: (أبى العباس أحمد بن على القلقشندى)، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، صبح الأعشى فى صنعة الإنشا عده أجزاء، مطابع كرستاتسوماس وشركاه، القاهرة، بدون، ج٤ - ص ٤٥٥.

(٤) المسالك والممالك، ص ١٧٠.

(٥) تقويم البلدان، ص ٧٤.

(٦) صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٥.

(٧) الروضى المعطار، ص ١٦٢.

(٨) المسالك والممالك: ص ١٧٠، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٧.

جيحـون من البقاع خـوارزم، وعلى شط بحيرة خوارزم جـبل جغراغز يجـمد عنده الماء حتى يبـقى إلى الصيف، ويؤكـد على ذلك ياقوت الحمـوى بقوله[١]: والشتاء عندهم شديد جدا وعنـدما زار خوارزم سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، يقرر ذلك فـيقول[٢] «وقد كنت اجتهد أن أكتب شيئا بها فما كان يمكننى لجمود الدواة حتى أقربها من النار وأذيبها وكنت إذا وضعت الشربة على شفتى التصقت لجـمودها على شفتى، ومع هذا فهى لعمرى بلاد طيبة».

والغريب أن الإنسـان إذا خرج من بيـته أول النهار مكشـوف الوجه يضـرب البرد وجهه فيسقط أنفه. وأما أل خوارزم فقـد عرفوا ذلك فلا يخرجون إلا مستورى الوجه[٣] وفى هذا يقول ابن خلكان[٤]: «والثلج والبرد كثيرًا ما يؤثر على الأطراف فى تلك البلاد فتسقط أطرافهم، خصوصا إقليم خوارزم، فـإنه فى غاية البرد، ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب».

هذا المناخ الشديد الصـعوبة وخاصة فى الشـتاء يتسبب فـى جمود نهر جـيحون، ولكن ذلك لم يمنع أهل خوارزم من الحـركة والعمل حيث تعـبر عليه القوافل الـتجارية ذهابا وإيابا[٥].

٥ - السكان:

كان أغلب سكان ما وراء النهر وخـوارزم من الإيرانيين والفرس والأتراك[٦]، وفى عصر السـلاجقة الأتراك[٧]، وعلى الرغم من أن الحكومة كانـت كلها فى الغالب بأيدى الترك إلا أن السكان الترك المستقرين هنـاك كانوا على قلة عددية نسبية[٨]، وعندما بدأت

(١) معجم البلدان: مج٣، ص٢، ص٢٥٣، القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٢١.
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٢ - ص ٢٥٥.
(٣) القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٢١.
(٤) وفيات الأعيان: مج٥، ص ١٦٩.
(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٢، ص١٠٢.
(٦) فامبـرى: (أرمينوس فاميرى)، تاريخ بخـارى منذ أقدم العصور حتى العـصر الحاضر، ترجمـة د/ أحمد محمود الساداتى، راجعه د. يحيى الخشاب، بدون، ص ٧٨.
(٧) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٣: ٢٤، القرمانى: (أبى العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى)، ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، عالم الكتب، بدون، توزيع مكتبة المثنى، القاهرة، مكتبة سعد الدين، دمشق، سورية، ص ٣٧٠.
(٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٥.

شمس السلاجقة التركية فى الغروب، وظهور الدولة الخوارزمية التركية الأصل تغلغلت العناصر التركية فى جوف الدولة الإسلامية بصفة عامة[١].

ويؤكد ذلك بقول ياقوت الحموى[٢] عندما زار خوارزم ٦١٦هـ/ ١٢١٩م وفى وجوههم أثر الترك، وفى طباعهم أخلاق الترك وفيهم جلد وقوة.

أما الصفات الجسمانية للخوارزميين فكانت واضحة فهم يمتازون بالطول والضخامة، وفى رؤوسهم عرض ولهم جبهات واسعة[٣].

أما الصفات النفسية فكانت تدل على أنهم أهل قوة وبأس ومروءة ويسار ومحبة، ويؤكد ذلك الأصطخرى بقوله «وفى خواص أهلها يسار وقيام على أنفسهم بالمروءة الظاهرة، وهم أكثر أهل خراسان انتشارا أو سفرا، فليس بخراسان مدينة كبيرة إلا وبها من أهل خوارزم جمع كثير، ولهم بأس على الأتراك ومنعه[٤].

كما أن أهلها تمرنوا على ضيق العيش والقناعة بالشىء اليسير، على أن فيهم أغنياء مترفين، إلا أن عيش أغنيائهم قريب من عيش فقرائهم من سعة المنفعة[٥].

أما صفاتهم الدينية والعلمية فكانت تدل على أنهم أهل دين وعلم ويؤكد ذلك ياقوت عندما زار خوارزم ٦١٦هـ/ ١٢١٩م فيقول[٦] «وما أظن أنه فى الدنيا لإقليم خوارزم نظير فى . . . ملازمة أسباب الشرائع والدين» وأهل الجرجانية كلهم معتزلة[٧]،

(١) حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون، ص ٢٥.
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ج٢، ص ٢٥٣.
(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٢، ص ٢٥٣.
(٤) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٧٠، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٩٧: ٣٩٨.
(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٢، ص ٢٥٣.
(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٢، ص ٢٥٥.
(٧) المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، العدل على مذهب السنة أن الله تعالى عدل فى أفعاله، بمعنى أنه متصرف فى ملكه وملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فالعدل: وضع الشىء موضعه، وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضده، فلا يتصور منه جور فى الحكم وظلم فى التصرف وعلى مذهب أهل الاعتزال: العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة. أما التوحيد: فقال أهل السنة، وجميع الصفاتية: أن الله تعالى واحد فى ذاته لا قسيم له، وواحد فى صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد فى أفعاله لا شريك له. فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له فى أفعاله ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد عندهم: الشهرستانى: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى)، ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، تحقيق د/ محمد سيد كيلانى، جزءان فى مجلد واحد، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ج١، ص ٤٢.

والغالب عليهم ممارسة علم الكلام حتى فى الأسواق والدروب يناظرون فى أمور الدين من غير تعصب بارد، وإذا رأوا من أحد التعصب أنكروا عليه كلهم وقالوا: ليس لك إلا الغلبة بالحجة، وإياك وفعل الجهال[١].

كانت الجرجانية عاصمة خوارزم صورة واضحة لكل مدن هذا الإقليم فى هذا المذهب الحنفى المعتزلى ما عدا مدينة خيوق، فأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية[٢].

٦ - الأهمية الاستراتيجية لإقليم خوارزم:

من التحديد الجغرافى السابق يتضح أن إقليم خوارزم يتمتع بموقع استراتيجى هام، حيث احترف الخوارزميون كثيرا من المهن كالتجارة والزراعة والرعى والصناعة.

لقد اهتم الخوارزميون بالزراعة فأكثروا من زراعة الأشجار وبخاصة شجر التوت لاحتياجهم إليه لعمائرهم[٣]. وكان يرفع من خوارزم العنب والسمسم الكثير[٤].

كما كانوا يزرعون البطيخ حيث كان إقليم خوارزم محاط بالرمال التى تنبت شوكا طويل الإبر يقال له بالعجمية اشترغار. فإذا كان وان زرع البطيخ يذهب أهل خوارزم إليها، ويزرعون فيها بذر البطيخ ويتركوها، فينبت البذر بنداوة الشوك، ولا يحتاج أصحابها إلى السقى ولا إلى شىء من أعمال الزراعة، فإنه إذا كان أوان البطيخ، وجدوا الأرض ممتلئة بالبطيخ الذى لا يوجد مثله فى البلاد حلاوة وطيبا ويكون رخيصًا جدا لكثرته، ثم يقدد ويحمل إلى البلاد للهدايا[٥].

كما أولى الخوارزميون الرعى اهتماما واضحا، فقد انتشرت المراعى فى الشمال قرب بحيرة خوارزم، حيث كانت ترعى قطعان الأغنام التى يؤخذ منها الصوف، وقطعان المواشى التى تنتج أصنافًا كثيرة من اللبن والجبن[٦].

---

(١) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٠.
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٢، ص ٢٦٧.
(٣) ياقوت الحموى: نفسه، مج٣، ج٢، ص ٢٦٧.
(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٢.
(٥) القزوين: آثار البلاد، ص ٥٢١.
(٦) الإدريسى: (أبى عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الحمودى الحسينى المعروف بالشريف الإدريس)، من علماء القرن السادس الهجرى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مجلدان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، مج٢، ص ٦٩٩.

أما سكان البربر فـإن اللحم لا يباع لديهم ولا يشترى لكثـرته وغالب أكلهم لحوم الطير واللبن والسمن، وإن تلف لأحد منهم دابة من فـرس أو بقرة أو شاه أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهله منها، وأهدى لجـيرانه فإذا تلف عند من أهدى إليه شيء من ذلك ذبحه أيضا، وأهدى لجيرانه، فلهذا لا تكاد تخلو من اللحم(١).

أما فى التجارة: فكانت أكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق ودكاكين، وفى النادر أن يكون هناك قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمأنينة تامة(٢).

وكانت أهم تجارات خـوارزم الطعام والحبوب والفـاكهة(٣)، وكانت تصدر القطن والصوف وأمتعة كثيرة(٤)، مثل غراء السمك وأسنان السمك والعنبر والعسل(٥).

كذلك كان إقليم خوارزم مركـزًا لحركة بيع وشراء مع بلاد البلغار(٦) والصقالبة(٧) والخزر(٨)، حيـث كان أهل خـوارزم جيـرانا للخزر، كـما كـانوا أكثـر اتصالا بالمدنيـة الإسلامية(٩)، وكان التجار الخوارزميون يدخلون البلغـار والصقالبة، ويجلبون منها الخز والأوبار النفيسة إلى خوارزم(١٠).

كما نشطت تجـارة الرقيق مع الصقالبة والخزر ومـا والاهما من رقيق الأتراك(١١)،

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، قسم٢، ص ٤٧١.
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٥٣.
(٣) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٧٠، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٧.
(٤) الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٢٥.
(٥) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٢.
(٦) البلغار: اسم ناحية ومـدينة، وهم مسلمون ولسان البلغار كلان الخزر، وفى البلد مسـجد جامع وبقربهم مدينة أخرى تسمى سوار ومنها مسـجد جامع.. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٣٥، ومن جرجانية خوارزم إلى بلغار سبعين يوم. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج١، ص ٣٨٢، ٣٨٥.
(٧) الصقـالبة: هم جبل حمـر الألوان يتاضمـون بلاد الخزر، وقيل أن الصقـالبة بين بلغار وقـسطنطينية.. ياقوت: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ١٩٦.
(٨) الخزر: هو إقليم قصته إثل وهو اسم النهر، وإثل قطعتان قطعة على غربى هذا النهر، وقطعة على شرقية الغربى خاص للملـك وجنده، والشرقى من الخزر فيه مـعظم التجار المسلمين والمتـاجر. الأصطخرى: المسالك والممـالك، ص ١٢٩، ١٣٠، ونهر إثل عند ابن حـوقل أثل. صورة الأرض، ص ٣٣٠ وعند ياقوت: إثل معجم البلدان، مج١، ج٢، ص ٢٧٢.
(٩) بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، راجعه إبراهيم صبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٦٥.
(١٠) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٣٢.
(١١) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٧٠، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٨.

حيث كانوا يجلبونهم صغـارًا ويعلمونهم ويؤدبونهم بالآداب الإسلامية، ثم يرسلون إلى سائر الأقطار الإسلامية[١]، كما نشطت تجارة الأغنام وخاصة فى أسواق الجرجانية[٢].

كـان من نتـيـجـة ازدهار الزراعـة والتـجـارة فى إقـليم خـوارزم أثره فى ازدهار الصناعـة[٣]، ومن هذه الصناعـات السـيـوف والدروع، والديبـاج المنسـوج من القطن والحرير، وغيرها من الثياب الملونة، وكـذلك صناعة السفن من جذوع الأشجار[٤]، كما كان أهلها بناءون حذاق[٥].

لقـد كان لهـذا الإقليم الخـصب الذى تتنوع مناظره بين مـزارع وأشـجار وأنهـار وصحارى وطرق وأسواق ودكـاكين، وتجارات وصناعات، أثره فى وفرة أسبـاب المعيشة والترف، مما كان له أثر فى إنجاب علماء وأدباء يشـهد لهم التاريخ فى ذلك، ويتضح هذا جليًا فى قول المقدسى[٦]: «أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب.. فقد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب وخصهم بصحة القراءة والذهن».

كل هذا كـان له أثره فى صـفاء ذهن علمـاء وأدباء إقليم خـوارزم فـأنبت لنا هذا الإقليم جماعة من المفسرين والفقهاء والمحدثين وغيره، كما أخرج لنا جماعة ممن جمعوا بين هذه العلوم الشرعـية والعلوم الأدبية، كـما أخرج جمـاعة فى بقيـة العلوم الأخرى كالطب والصيدلة والكيمياء والرياضيات والفلك والفلسفة وغيره من هذه العلوم.

---

(١) كى لسترنج: بلـدان الخلافة الشرقيـة، ص ٥٠٢، صبرى سليم: الأتراك الخوارزمـيون فى الشرق الأدنى الإسلامى (٦٢٨ - ٦٤٤هـ/ ١٢٣٠ - ١٢٤٦م) مكتـبة الثقافة الدينيـة، القاهرة ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٦.

(٢) المقدسى: أحسن التقاسيص ٢٣٠.

(٣) القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٢٠.

(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢، صبرى سليم: الأتراك الخوارزميون، ص١٧.

(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٢٩.

(٦) أحسن التقاسيم، ص٢٢٧.

ثانيا: إقليم خوارزم تاريخيا

* * * * * * *

أولا: الفتح الإسلامى لإقليم خوارزم ٩٣هـ/ ٧١١م:

تم الفتح الإسلامى لإقليم خوارزم فى عهد الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م)، فى عهد الخليفة الوليد عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥م).

ففى عام ٩٣هـ/ ٧١١م توجه القائد العربى المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى إلى إقليم خوارزم، ففتحه(١). وكان ملك خوارزم يومئذ يقال له جنغان(٢)، وكان ضعيفًا، وكان له أخ يقال له خرزاد قد غلبه على أمره(٣) - وخرزاد هذا أصغر منه(٤) - فأرسل ملك خوارزم إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه، على أن يمكنه من أخيه ومن عصاه(٥)، وأرسل بكتابه إلى قتيبة سرا(٦)، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهز للغزو، فسار ملك خوارزم - خوارزمشاه - فنزل مدينة الفيل وهى أحصن بلاده، وعين، ومتاع، على أن يعينه على خام جرد، فقبل ذلك(٧)، وقيل صالحة على مائة ألف رأس(٨). وبعث قتيبة

(١) اليعقوبى: (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى)، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، تاريخ اليعقوبى، مجلدان، دار صادر، بيروت، بدون، مج٢، ص ٢٥٢، عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ط١، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٠، مجدى فتحى السيد: الإسلام والمسلمون فى العصر الأموى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٧٧.

(٢) ابن أعثم الكوفى: الفتوح، مج٧، ص ٢٣٥.

(٣) البلاذرى: (الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى، ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق عليه عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٥٩١.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٦٩، حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص ١٤٧.

(٥) ابن الأثير: (أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣١م، الكامل فى التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ١٠ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، مج٤، ص ٢٧٣.

(٦) ابن أعثم الكوفى: الفتوح، مج٧، ص ٢٣٥.

(٧) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٧٠، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج٤، ص ٢٧٣.

(٨) ابن كثير: (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع، البصرى الأصل، الدمشقى الشافعى)، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح،=

أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وكان يغازى خوارزمشاه - جنغان فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه، وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم[١]. وسلم جنغان إلى قتيبة مدينتين من مدن خوارزم، وسار معه فى عسكره، وبقى خرزاد فى المدينة الثالثة[٢]، ودارت الحرب بين أهل خوارزم وقتيبة، فلم يكن إلا ساعة حتى أخذ خرزاد أسيرًا[٣].

وسلم قتيبة إلى جنغان أخاه خرزاد وكل من كان يخالفه من أمرائه فقتلهم، ودفع أموالهم، ودفع أموالهم إلى قتيبة[٤]، ثم وفى بما كان ضمن له[٥].

بذلك استطاع الفاتحون العرب المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم أن يبسط السيادة الإسلامية، والدين الإسلامى على خوارزم، وأمر بفتح الكتاتيب، لتحفيظ القرآن الكريم، وأمر ببناء المساجد لتعليم الصلاة وأحكام الشريعة الإسلامية[٦].

ثانيا: إقليم خوارزم بعد قتيبة:

لم يكتف قتيبة بالفتح بل دعا السكان إلى دخول الإسلام، وترك عبادة الأصنام، فأجابوه، واعتنقوا الإسلام، وكان على السكان غير المسلمين أن يدفعوا الجزية[٧].

كان موت الخليفة الوليد بن عبد الملك ٩٦هـ/ ٧١٤م، وقائده الحجاج بن يوسف، قد تركا جرحا غائرا فى صدر قتيبة، وما لبث أن قتل هو الآخر فى حركة شغب وسوء فهم من جنده - لا مجال لتفسيرها - بعد أن رفض مبايعة الخليفة سليمان بن عبد الملك ٩٦ - ٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م، واتهم بمحاولته الاستقلالية بخراسان وما وراء النهر[٨].

=٨ مجلدات، ١٦ جزء، ط٥، دار الحديث، القاهرة - ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، مج٥، ج٩، ط٥، ص ٩١، ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون)، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٨ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، مج٣، قسم١، ص ٧٥: ٧٦.

(١) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٥٩٢، ابن الأثير: الكامل، مج٤، ص ٢٧٣.

(٢) ابن أعثم الكوفى: المفتوح، ص ٢٣٦/ محمود شيث خطاب: قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٩٧.

(٣) ابن أعثم الكوفى: الفتوح، ص ٢٣٧.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٧٠: ٤٧١، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٥، ج٩، ص ٩١.

(٥) ابن أعثم الكوفى: الفتوح، ص ٢٣٧.

(٦) عبد الفتاح مقلد الغنيمى المسلمون فى آسيا الوسطى: ص ٥١: ٥٢، محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، الزقازيق، ٢٠٠١، ص ٥٢: ٥٤.

(٧) عبد الفتاح مقلد الغنيم: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص ٥١.

(٨) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٥١٦: ٥١٧، بارتولد: تركستان، ص ٣٠٤.

وتولى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ولاية خراسان، وتوفى سليمان سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م وبويع لعمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧١٩م)، وكان لعدالة الحكم الإسلامى فى عهده ورعايته لحقوق الناس وعمارته للبلاد أثر فى انتشار الإسلام(١)، حيث أمر عمر بن عبد العزيز برفع الجزية عمن أسلم، فسارع الناس إلى الإسلام(٢).

وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٤ - ٧٤٣م. كانت جهود الأمويين منصرفة إلى تثبيت السيادة العربية، والتمكين للنفوذ الإسلامى من الانتشار بالطرق السلمية، ومن أهمها توظيف المسجد فى المهام الدعوية والتعليمية وتوطين القبائل العربية فى المدن الكبرى(٣). خاصة فى عهد الولى أشرس بن عبد الله السلمى (١٠٨ - ١١٠هـ/ ٧٢٦ - ٧٢٨م) إذ كان أول من أنشأ الربط والخوانق(٤) والمدارس وعمل على تثبيت قدم الثقافة العربية فى البلاد(٥).

وتتابعت هذه الجهود فى عهد نصر بن سيار عندما تولى خراسان ١٢١ - ١٣١هـ/ ٧٣٨/ ٧٤٨م. هذا القائد الذى يحتل فى تاريخ النضال الإسلامى مكانة لا تقل عن مكانة قتيبة، فهو الذى حمى ما وراء النهر وخوارزم من الأتراك الشرقيين الكفار، وصان تراث العرب فى البلاد(٦).

ولقد استعمل نصر بن سيار على خوارزم - أبا حفص على بن حقنه، فعمرت عمارة لم تعمر مثلها، وأحسن الولاية والجباية(٧) وأبو حفص أحد - بنى حنظلة - وهو صهر نصر بن سيار(٨).

كانت حماية ما وراء النهر من عدوان الأتراك الشرقيين من أهم منجزات العصر

---

(١) يسرى الجوهرى: آسيا الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٤.
(٢) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، مج٢، ص ٣٠٢، ابن خلدون: العبر، مج٣، قسم١، ص ٩٠: ٩١.
(٣) مصطفى دسوقى كسبه: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، مؤتمر بجامعة الأزهر، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٠٤، محمد عبد العظيم أبو النصر: الفتح الإسلامى إقليم الصغد، حولية الدراسات الآسيوية، الطبعة الأولى، الزقازيق، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.
(٤) لمزيد من التفاصيل عن الأربطة والخوانق راجع: الفصل الثانى، ص ٩١، ٩٢.
(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٥٢، حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص ١٥٤.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٥، ج٩، ص ٣٢٩: ٣٣٠، محمد عبد العظيم: الفتح الإسلامى لإقليم الصغد، ص ٢٠٧.
(٧) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ١٥٧: ١٥٨، ابن خلدون: العبر، مج٣ قسم١، ص ١١٧.
(٨) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ١٥٧.

الأموى التى مكنت للسيادة الإسلامية من بلاد ما وراء النهر وإقليم خوارزم، كما أضافوا جهودًا أخرى فى ميدان الدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة العربية فى البلاد[١].

ومن هنا فإن الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م) استطاعت أن تثبت الوجود والكيان الإسلامى فى إقليم خوارزم، حيث بذل الفاتحون جهودا مختلفة لإدخال الناس فى حظيرة الدين الإسلامى، ولقد ترك الفاتحون حكم خوارزم فى أيدى حكامها الذين اعتنقوا الإسلام على أن يشترك معهم فى الحكم عامل من قبل الخليفة، وكان على سكان هذه البلاد غير المسلمين أن يدفعوا الجزية، وكانت معاملة العرب وحسن الأخوة الإسلامية دافعًا لسكان تلك المناطق للسعى للصلاة فى المساجد وسماع قراءة القرآن الكريم[٢].

وهكذا كان دور بنى أمية فى إقليم خوارزم إيصال نور الدعوة الإسلامية والآية القرآنية إلى هذا الإقليم، وذلك عن طريق بناء المساجد واستقدام العلماء لتعليم الدين الإسلامى عن طريق ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية - لغتهم الأصلية، وكان القرآن الكريم يقرأ بالفارسية وبالعربية لأن العربية لم تكن ميسرة على الناس.

ثالثا: إقليم خوارزم فى العصر العباسى:

سقطت الخلافة الأموية عام (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) بعد أن أصبحت غير قادرة على مواجهة الزحف القادم من شرق الدولة الإسلامية بقيادة أبى مسلم الخراسانى[٣]، معلنا الولاء لبنى العباس[٤]. وفى عام ١٢٩هـ/ ٤٧٦م وجه أبو مسلم شخصا يدعى أبو الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم لإظهار الدعوة العباسية فى شهر رمضان عام ١٢٩ هـ/ ٤٧٦م، فإن أعجلهم عدوهم دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمروة، فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يظهروا السيوف ويجردوها من أغمادها، ويجاهدوا أعداء الله، ومن شغله العدو عن الوقت فلا حرج أن يظهر بعد الوقت[٥].

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص ١٥٣، ١٥٤، محمد عبد العظيم: الفتح الإسلامى لإقليم الصغد، ص ٢٠٧.

(٢) عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والملمون فى آسيا الوسطى، ص ٥١، ٥٢.

(٣) أبو مسلم الخراسانى: هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخراسانى القائم بالدعوة، وكان أبوه من رستاق فريزين من قرية تسمى سنجرد (سنجر)، ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج٣، ص ١٤٥، لمزيد من المعرفة عن ظهور ودور أبى مسلم الخراسانى فى الدعوة العباسية، راجع ابن كثير: البداية والنهاية، مج٥، ج١٠، ص ٧٣ - ٧٩.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٥، ج١٠، ص ٣٣.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٣٥٦، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، قسم ٢ ص ١٤٤.

وانضوى أتراك ما وراء النهر وأتراك خوارزم فى يسر تحت راية العباسيين السوداء بل وتحمسوا كذلك لدعوتهم(١).

وكانت فترة ظهور الخلافة العباسية (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) قد شهدت نمو وازدياد الأطماع الصينية فى بلاد ما وراء النهر وخوارزم، لكن العباسيين نهضوا للدفاع عن ديار الإسلام واستطاع عاملهم زياد بن صالح الخزاعى أن يهزم الجيش الصينى الذى كان يقوده (كاو - هين - شيه) فى عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠(٢).

وبذل العباسيون جهودا كبيرة فى تثبيت أقدام الإسلام فى إقليم خوارزم وغيره من أقاليم آسيا الوسطى، وكان لهم دور مهم فى انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية فى هذه البلاد.

ففى عهد الخليفة العباسى أبو جعفر العباسى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٣ - ٧٧٤م)، ازدهرت حركة الترجمة، حيث شجع المترجمين على ترجمة الكتب التى تبحث فى علم النجوم، وكانت له عناية وبراعة فى الفقه والأدب، كما كان مقدما فى الفلسفة، وهو أول من عنى من آل العباس بالعلوم(٣).

وفى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م) ازدهرت الحركة العلمية، حيث كان يميل إلى أهل الأدب والفقه، وكان يحب الشعر والشعراء، ويجزل لهم العطاء، كما كان يحسن معاملة العلماء(٤).

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية أيضا الاهتمام بالعلم اليونانى وما كان الرشيد يقدمه إلى العلماء من هبات وجوائز، وخاصة الفقهاء والشعراء الذين ينقلون العلوم اليونانية(٥).

(١) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٧٨.

(٢) بارتولد: تركستان، ص ٣١٦، الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص ٥٩، ٦٠.

(٣) الذهبى: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى)، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م، تهذيب سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، ٣ أجزاء، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج١، ص ٢٤٩، ٢٥٠، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٥٠.

(٤) ابن طباطبا: (محمد بن على طباطبا المعروف بابن الطقطقا)، ت ٧٠٩هـ/ ١٢٤٧م، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بدون ص ١٩٣، ١٩٤، أحمد الشامى: الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م، ص ١٣١.

(٥) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٣١٧، الجيورى: (يحيى وهيب الجبورى)، الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ط١، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٨م، ص ١٤٧.

وفى عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م)، بلغت الحركة العلمية أوجها، فكان عصره هو عصر العلم والتأليف والترجمة، والازدهار الثقافى والحضارى، كما كان إماما فى العلوم العربية، والفلسفة، والنحو، والشعر، والحديث، وعلوم الأوائل، وكان يعد من كبار العلماء(١).

وبرز فى عهد المأمون علماء أجلاء - لا مجال لذكرهم - نذكر منهم عالم خوارزمى برع فى عهده وهو محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فيما بين (١٦٤ - ٢٣٥هـ/ ٧٨٠ - ٨٥٠م) والذى اشتهر برسالته «حساب الجبر والمقابلة» والتى لعبت دوراً كبيراً فى الحضارة الإسلامية(٢). وكان الخوارزمى منقطعًا إلى خزانة الحكمة للمأمون، كما كان من أصحاب علوم الهيئة(٣).

وفى عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن(٤). وتفضيل على بن أبى طالب، وقال هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ(٥)، وفى عام ٢١٨هـ/ ٧٣٣م امتحن الناس بخلق القرآن، وتفضيل دور على بن أبى طالب على أبو بكر وعمر(٨)، إلى أن توفى فى نفس العام، وبويع المعتصم بعهد من المأمون، وامتحن الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار الإسلامية(٦)، ومنها خوارزم، وأقبلت المعتزلة عليها، وأكثروا من النظر فيها، والتصفح بها، فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ترجمة ١٦٣٠، ص ٣٧٠، يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية نزار أباظة، ومحمد صباغ، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٥٨.

(٢) على عبد الله الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات - دار الاعتصام، بدون، ص ٣٣.

(٣) ابن النديم: (محمد بن إسحاق)، ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م، الفهرست، تحقيق محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، بدون، ص ٣٧٥: ٣٧٦.

(٤) ابن الجوزى: (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد)، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، شذور العقود فى تاريخ العهود، ١٨٠ ورقة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، ميكروفيلم ٣٥٨٢٦ ورقة ٧٠.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٦١٩.

(٦) السيوطى: (جلال الدين السيوطى)، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، عنى بتحقيقه إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣٦٤.

(٧) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ترجمة ١٦١٣، ص ٣٧٠: ٣٧١.

يوصف من البلاء والمحنة فى الدين[1]. ودام ذلك حتى أزاله المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م[2].

وهكذا مضى العباسيون قدما فى تنفيذ السياسة التى رسمها الأمويون لإسلام ما وراء النهر وخوارزم، وحققوا نجاحات هائلة، وارت الثقافة الإسلامية ف ركاب الإسلام وتوطدت أركانها بين أهل البلاد الذين بدأوا يتعلمون اللغة العربية[3].

وجدير بالذكر أن دعاة الدعوة العباسية قد وقعوا فى خطأ تاريخى عندما اعتمدوا على العنصر الفارسى والخرسانى والأتراك فى الدعوة لهم، والقضاء على النفوذ العربى والاعتماد على العنصر الفارسى حتى ولاية المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ - ٨٤١م) وهو الذى أسقط العرب من الديوان، واعتمد على العنصر التركى، مما أدى إلى نمو الشعور القومى التركى والفارسى، وأدى إلى ظهور الدول المستقلة فى أقاليم ما وراء النهر، وكل ما يعنينا من هذه الدول هو دورها فى إقليم خوارزم وأثره على الحياة الفكرية فى هذا الإقليم.

رابعًا: إقليم خوارزم فى عصر الدويلات المستقلة:

١ - خوارزم فى عصر الدولة الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢١ - ٨٧٢م)

ظهرت الدولة الطاهرية فى بلاد خراسان وما وراء النهر كأول دولة مستقلة فى المشرق الإسلامى، واتخذت اسمها من مؤسسها طاهر بن الحسين (٢٠٥ - ٢٠٧هـ/ ٨٢٠ - ٨٢٢م)[1].

وتولى طاهر بن الحسين خراسان فى عهد المأمون فوردها فى ربيع الآخر سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، وفى عام ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، اعتزم الخلاف وخطب يومًا فأمسك عن

---

(١) ابن العماد الحنبلى: (أبى الفلاح بعد الحى بن العماد الخيلى) ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م، ٤ مجلدات، ٨ أجزاء، مكتبة القدسى، بدون، مج١، ج٢، ص٤٥، محمد الخضرى بك: تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون، ص ٢٠٨.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء - ج١، ص ٣٧١.

(٣) مصطفى دسوقى كسبة: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٠٩.

(٤) كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسن على اللبودى، مراجعة د سليمان إبراهيم العسكرى، ط٢، مؤسسة الشراع العربى بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - ١٩٩٥م، ص ١٤٨، ١٤٩.

الدعاء للمأمون، ودعا بصلاح الأمة، ثم جاء من الغد الخبر بموته، فولى طلحة بن طاهر (٢٠٧ - ٢١٣هـ/ ٨٢٢ - ٨٢٨م) من قبل المأمون[١].

وخلفه أخوه عبد الله بن طاهر (٢١٣ - ٢٣٠هـ/ ٨٢٨ - ٨٤٤م)، وكان شاعرا وأديبا فاضلا[٢]، وبعد موته أناب الخليفة الواثق ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢٣٠ - ٢٤٨هـ/ ٨٤٤ - ٨٦٢م)[٣] ثم آخر الأمراء الطاهريين محمد بن طاهر الثانى (٢٤٨ - ٢٥٩هـ/ ٨٦٢ - ٨٧٢م) وكان فاضلاً وأديبا وشاعراً[٤].

هؤلاء هم ولاة خراسان من الطاهريين وهى أول أسرة إيرانية بعد الإسلام، وكان لهذه الأسرة أثر فى الحياة الفكرية فى إقليم ما وراء النهر وخوارزم، حيث أبدى الطاهريون اهتماما كبيرا بجميع مدن ما وراء النهر، وبرز منهم الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر (٢٢٣ - ٣٠٠هـ/ ٨٣٧ - ٩١٢م) وكان من أهل الفضل والأدب والشعر والحكمة، وكان يسمى بسبب أدبه وفضله حكيم آل طاهر[٥].

وكان أمير خوارزم فى عهد الطاهريين هو حسين بن طاهر[٦]، حيث كانت خوارزم خاضعة لولاة خراسان، وفى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م ظهرت دولة الصفاريين القوية التى وضعت حدا لحكم الطاهريين وآل إليها زمام الأمور بإيران. وحاولوا أن يمدوا سلطانهم على ما وراء النهر وخوارزم فكان فى ذلك خراب دولتهم[٧].

٢ - إقليم خوارزم فى عصر الدولة السامانية (٢٦٠ - ٣٩٥هـ/ ٨٧٣ - ١٠٤٤م)

يتشابه ظهور السامانيين على مسرح الأحداث فى آسيا الوسطى بالبداية الأولى لظهور الطاهريين فكل منهما أسرة فارسية ارتبطت فى شأنها بوالى عربى، وعملت فى خدمة الولاة الأمويين، ثم دخلت تحت لواء العباسيين[٨].

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، قسم ٣، ص ٣٠٩.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، مج٣، ص ٨٥، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ١٦.
(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٨.
(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٣، ص ٩٢.
(٥) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٨.
(٦) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٩٤.
(٧) بارتولد: تركستان، ص ٣٤٠، لمعرفة المزيد عن الدولة الصفارية راجع ابن خلكان وفيات الأعيان، مج٦، ص ٤٠٢ - ٤٣٢، مؤسس الدولة الصفارية هو يعقوب بن الليث الصفارى، أحمد محمود الساداتى، محاضرات فى التاريخ الإسلامى شعبة آسيا (الاتحاد العربى للطباعة، بدون، ص ١٣٨).
(٨) عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون، ص ٧٧.

لا يعنينا كيف نشأت الدولة السامانية – وكل ما يعنينا هو إبراز دور بنى سامان فى إقليم خوارزم.

ففى عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م، ولى نصر بن أحمد السامانى[١]، من قبل الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ – ٨٩٢م)، وكان خوارزم شاه حتى ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م وهو فى مرو يدعو لمحمد ابن طاهر[٢]، وفى سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م، ملك رافع بن هرثمة – من قواد بنى طاهر – بلاد خراسان وخوارزم وحدث بينه وبين إسماعيل السامانى موالاة اتفقا على التعاون، كما طلب منه إسماعيل إقليم خوارزم فولاه إياه[٣]، ثم حدثت الوحشة عام ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م فهزمه رافع، وسار إلى خوارزم فجبى أمواله ورجع إلى نيسابور[٤].

وفى خلافة المعتضد ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، عزل رافع بن هرثمة من إمارة خراسان، ودخلها عمرو ابن الليث[٥]، وفى نفس العام توفى نصر السامانى، وبسط إسماعيل سلطانه على خوارزم وبلاد ما وراء النهر سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣ – ٨٩٤م[٦].

وفى عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م التقى عمرو بن الليث الصفار ورافع بن هرثمة، فانهزمت جيوش رافع[٧]، وفر هاربا، إلى خوارزم فقتل بها، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور[٨]، وكان عمرو بعد أن هزم رافع قد بات يرى فى السامانيين وقوتهم الصاعدة، مع محبة الناس لهم منافسا له لابد من القضاء عليه بأى ثمن[٩].

وفى نهاية الأمر، انهزم عمرو بن الليث وأخذ أسيرا، وحبسه المعتضد عام

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥١٤.
(٢) راجع بارتولد: تركستان، ص ٣٤٥.
(٣) ابن خلدون: العبر، مج٣، قسم٣، ص ٣٨٢.
(٤) ابن خلدون: نفسه، مج٣، قسم٣، ص ٤٠٤.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١١، ص ٧٠.
(٦) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٩٨.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١١، ص ٧٨، العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، مج١، ج٢، ص ١٨٢.
(٨) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٥٠، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، قسم٣، ص ٢٤٥.
(٩) النرشخى (أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى)، ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م، تاريخ بخارى، عربة عن الفارسى وقدم له وحققه وعلق عليه د. أمين عبد المجيد بدوى، د. نصر الله مبشر الطرازى، ط٢، دار المعارف، بدون، ص ١٢٥ – ١٢٩.

٢٨٨هـ/ ٩٠١م، إلى أن مات المعتضد سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، بعدها قتله ابنه المكتفى ٢٨٩ - ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٧م، وعقد إسماعيل على خراسان، ومارس السمانيون سيادتهم على إقليم خوارزم(١).

وتوفى إسماعيل عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، وكان ملكا فاضلا عالما، معظما للعلماء، فتملك بعده ابنه أحمد (٢٩٥ - ٣٠١هـ/ ٩٠٧ - ٩١٤م) فقتله مماليكه، ثم ملكوا ولده نصر بن أحمد، فدام ثلاثين عاما، (٣٠١ - ٣٣١هـ/ ٩١٤ - ٩٤٣م)(٢).

وقد ذكر المقدسى(٣): كيف صارت أقاليم ما وراء النهر وخوارزم فى العصر السامانى مركزا للتجارة والصناعة، كما أصبحت ما وراء النهر منارة للعلم، كما أن عناية الأمراء السامانيين بالعلوم الدينية قد دفعهم بالعناية إلى العلوم الأخرى الأدبية والطبيعية فنبع فى عهدهم الكثير من الشعراء والعلماء وحفل بلاط السامانيين بالعلماء والفقهاء والأدباء(٤).

وعندما توفى نصر بن أحمد سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م، تولى مكانه ابنه نوح ٣٣١ - ٣٤٣هـ/ ٤٣ - ٩٥٤م، وانتقض بخوارزم عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م عبد الله بن أشكام، وامتنع به، فبعث إليه جيشا وجعل عليهم إبراهيم بن بارس(٥) الفارسى فمات فى الطريق، واستجار ابن أشكام بملك الترك. وكان لملك الترك ابن محبوس ببخارى(٦) فبعث إليه نوح بإطلاق ابنه على أن يقبض على ابن أشكام، وأجابه ملك الترك لذلك، ولما علم بذلك ابن أشكام عاد إلى طاعة نوح، وترك خوارزم وعفا عنه وأكرمه(٧).

ويقول النرشخى(٨): وفى سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، صفت الولايات للأمير الحميد نوه بن نصر ابن أحمد بن إسماعيل السامانى، وقد فارق الدنيا فى شهر ربيع الآخر سنة

---

(١) ابن خلدون: العبر، مج٣، قسم ٤، ص ٤٣١، كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص ١٥١.
(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١٣.
(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٢٢٧.
(٤) الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص ٨٠، محمد عبد العظيم: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، ص ٩٤: ٩٥.
(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج٧، ص ١٨٤.
(٦) بخارى: بالضم، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها. لمزيد من التفاصيل راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص ٢٨٠، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣، ٥٠٤.
(٧) ابن خلدون: العبر، مج٤، قسم ٤، ص ٤٠٩.
(٨) النرشخى: تاريخ بخارى، ص ١٣٧، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١١٦.

٣٤٣هـ، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة، فخلفه ابنه عبد الملك الملقب بالرشيد (٣٤٣ - ٣٥٠هـ/ ٩٥٤ - ٩٦١م)[١].

وفى عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م سقط الفرس تحت الأمير عبد الملك بن نوح، فوقع إلى الأرض فمات، وولى بعده أخوه منصور بن نوح (٣٠٠ - ٣٦٥هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)[٢]، وبعد موت منصور خلفه ابنه نوح الثانى ذو الثلاثة عشر عامًا ولما كان لا يزال آنذاك صغير السن، قامت أمه بإدارة أمور الملك ولما بلغ نوح سن الرشد قام لإحكام أساس إمارته الأمير أبو الحسن السيمجورى[٣].

وظل نوح واليا إحدى وعشرين سنة (٣٦٥ - ٣٨٧هـ/ ٩٧٦ - ٩٩٧م) إلى أن توفى عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، فولى بعده ابنه أبو الحارث منصور، فبقى سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا أخاه عبد الملك، فقصده محمود الغزنوى - على ما سيأتى ذكره فهزمهم وهربوا منه إلى بخارى، ثم أتاهم أيلك ملك الترك مظهرا لنصرتهم، فقبض عليهم وعلى جميع السامانية فى عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م، وانقرض ملكهم بعد مائة وستة وستين وشهوراً[٤].

إقليم خوارزم فى عصر السامانيين (الأسرة المأمونية - الأسرة الخوارزمشاهية):

ظل إقليم خوارزم فى عصر السامانيين تحت إمرة أسرتين من الأمراء الأولى الأسرة المأمونية التى حكمت الجزء الشمالى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم الجرجانية، والثانية الأسرة الخوارزمية الذين سيطروا على الساحل الأيمن أى الجزء الشرقى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم كاث[٥].

وفى عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م كان الأمير نوح السامانى فى بخارى، ومحمود الغزنوى بنيابسبور، وكان نوح قد ولاه خراسان فى عام ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م، فطمع أبو على

---

(١) فامبرى: نفسه، ص ١١٦، ولمعرفة المزيد عن عبد الملك بن نوح راجع عباس إقبال إيران بعد الإسلام، ص ١٥٠ - ١٥١، والنرشخى: نفسه، ص ١٣٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، مج٧، ص ٢٧٠.

(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام.

(٤) ابن الجوزى: (أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى)، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ١٨ جزء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٥، ص٧.

(٥) بارتولد: تركستان، ص ٣٦٣، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٥.

السيجموری فی خراسان، فلما بلغ محمود خبرهما کتب إلی أبیه بذلك، فجمع العساکر وسار نحـو أبی علی بطوس، وأتاهم محمود فـی عسکر ضخم من ورائهم، فانهـزموا، ونزل أبو علی الجرجانیة، بـقریة قرب خوارزم، فأرسل إلیه أبو عبـد الله خوارزمشاه[١] عسکره، فأخـذوه أسیرا فاعتـقله فی بعض دوره، ولما أسر أبا علی بلغ خبـره مأمون بن محمد حاکم الجرجانیة، فجمع عساکـره وسار نحو خوارزمشاه، وعبر کاث، فحصروها وفـتحـوها عنوة، وأسـرو أبا عبـدالله خـوارزمشـاه، وأحـضروا أبا علی، وعـادوا إلی الجرجانیة، واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه، وصار فی جملة ممتلکاته، وأحضر خوارزمشاه وقتله، وکتب إلی الأمیـر نوح یشفق علی، ویسأل الصفح عنه، فأجیب إلی ذلك[٢].

وبذلك أطاحت الأسرة المأمونیة، بالأسرة الأفریغیة[٣] فی کاث، واتخذوا لأنفسهم لقب خوارزمشـاه أی ملك خوارزم، وأصبحـوا شبه مسـتقلین فی الفترة مـا بین سقوط الدولة السامانیة وقیام الدولة الغزنویة، ثم عادوا حکاما تحت حمایة الغزنویین[٤] .

لقد ظلت هذه الأسرة المأمونیـة تحکم خوارزم فی الفترة (٣٨٥ – ٤٠٨هـ/ ٩٩٥ – ١٠١٧م)، وفی عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، توفی الأمیر نوح بن منصور السامانی[٥]، ومأمون بن محمد بن خـوارزمشاه وخلفه ابنه أبو الحسن علی بن مأمـون بن محمد[٦]، وعندما

(١) کان الاسم التقلیـدی الذی یتسمی به من یشهر إسلامـه من الخوارزمشاهیون هو «عبـد الله» کلیفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاکمة فی التاریخ الإسلامی، ص ١٥٨,

(٢) ابن الأثیر: الکامل، مج٧، ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٣) الأسرة الأفریغیة: نـسبة إلی آفریغ ملك خوارزم مؤسس هذه الأسرة الإیرانیة الأصل ولقـد قام البیرونی بتتبع بدایـات الحیاة السیاسـیة فی خوارزم، حتی الألف الأولی ق.م، وحدد بـدایة هذه الأسرة حوالی ٣٠٥ – ٣٨٥هـ/ ٩١٥ – ٩٩٥م، وذکر ٢٢ شاها من شاهات هذه الأسـرة حتی زوالها، وکان آخرهم کما یقول: الشهید أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عراق بن منصور بن عبد الله بن ترکسبانة بن شاوشفرین أسکحموك بن سبری بن سخر ابن أزکاجوار بن أسکجموك بن سخك بن بغره بن آفریغ البیرونی: الآثار الباقیة عن القرون الخالیة، ص ٣٦، ٣٥.

(٤) النظام العروضی السمرقندی: جـهاز مقالة (المقالات الأربع) فی الکتابة والشـعر والنجوم والطب، وعلیه خلاصة حواشی الـعلامة محمد بن عبـد الوهاب القزوینی، نقله إلی العربیة عبـد الوهاب عزام ویحیی الخشاب، ط١، مطبعة لجنة التألیف والترجـمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، حاشیة ١٩، ص ١٦٨.

(٥) ابن العبری: (غـریغوریوس الملطی المعروف بابن العبری)، ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م تاریخ مـختصر الدول، ص ١٧٨.

(٦) عباس إقـبال: إیران بعد الإسلام، ص ١٧٦، راجع کلفورد أ. بوزوث: الأسرات الحـاکمة، ص ١٥٧: ١٥٩.

توفى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، خلفه أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون إلى أن توفى ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م، فخلفه أبو الحارس محمد ٤٠٧ - ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، وتوفى فى نفس العام، وبموته انقرضت هذه الأسرة المأمونية[١] .

٣ - إقليم خوارزم فى عصر الدولة الغزنوية:

لقد حكمت الأسرة المأمونية فى الفترة ما بين سقوط الدولة السامانية، وقيام الدولة الغزنوية، حكما شبه مستقل، وظل الأمر على ذلك حتى جاء السلطان محمود بن سبكتكين[٢]. وكان يحكم خوارزم فى ذلك الوقت أبو العباس مأمون بن مأمون بن محمد خوارزمشاه (٣٩٩ - ٤٠٧هـ/ ٩٩٧ - ١٠٠٩م)، وكان يراعى جانب السلطان محمود الغزنوى فى كل شىء ويبدى له من التواضع ما لا حد له[٣]، وكان من أفاضل الملوك الذين صادقوا أهل العلم والحكمة، فكان بلاطة مجمعاً لهم فألفوا كتبا كثيرة باسمه . وقد تزوج من أخت السلطان محمود، كما فعل أخوه من قبل، وكانت الصلة بينهما وطيدة حتى عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م قبل أن يسىء السلطان به الظن فأرسل إليه رسولا بأمره بأن تكون الخطبة باسمه[٤]، فأجابه إلى ذلك وأحضر أمراء دولته، واستشارهم فى ذلك فأظهروا الامتناع، وثاروا عليه وقتلوا وأمروا عليهم ابن أخيه أبا الحارث محمد بن على بن مأمون[٥] .

واتصل الخبر بالسلطان محمود فجمع العساكر وسار نحوهم، بحجة الانتقام لدم أبى العباس مأمون خوارزمشاه وإنقاذ أخته، وبعد معركة فى هزار اسب بالقرب من

(١) النظامى العروضى: جهاز مقالة، حاشية ١٩، ص ١٦٩، لمزيد من التفاصيل راجع عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦ وما بعدها.

(٢) سبكتكين: والد محمود صاحب غرنة، وقد كان سبكتين مولى الأمير أبى إسحاق بن البتكين صاحب جيس غرنة وأعمالها للسامانية، وكان مقدما عند مولاه لعقله وشجاعته، فلما توفى أبو إسحاق ولم يكن له ولد اتفق العسكر وولوأسبكتكين، وحلفوا له وأطاعوه ثم أنه عظم شأنه وارتفع قدره وغزا بلاد الهند، واستقر الملك فى يده، واستمر من بعده، فى ولده محمود بن سبكتكين، ابن الأثير: الكامل، مج٧، ص ٣٧٣: ٣٧٤ سبط ابن الجوزى: (شمس الدين أبى المظفر يوسف قزوأ على بن عبد الله البغدادى)، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، الحقبة ٣٤٥ - ٤٤٧هـ/ ٩٥٦ - ١٠٥٥م، تحقيق جنان جليل محمد الهمون، وزارة الأعلام والثقافة، الدار الوطنية، بغداد ١٩٩٠م، ص ٣٤٨.

(٣) البيهقى: (أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى)، ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م، تاريخ البيهقى، ترجمة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٧٣٤.

(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦ .

(٥) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٩، ابن خلدون: العبر، ج٤، قسم٤، ص ٤٤٦.

جرجانية هزم جنذ خوارزمشاه هزيمه شديدة، ثم دخل عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م الجرجانية وقبض على جميع أفراد الأسره المأمونية وأتى بهم إلى غزنة[١].

وبذلك دخل خوارزم عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، فى حوزة الدولة الغزنوية، واستناب فيها السلطان محمود حاجبة التونتاش[٢]، وترك معه قسما من جيشه لحين تهدئة المنطقة نهائيا، واستقرت الأمور بذلك[٣].

ظل إقليم خوارزم من جملة مملكة محمود بن سبكتكين، ونائبة فيها الحاجب التونتاش، ثم صارت لمسعود بن محمود بن سبكتكين بعد وفاة والده سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، ولما توفى قامت التونتاش ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م، ولاه مسعود ابنه هارون بن التونتاش ولقبه خوارزمشاه، ثم قتل هارون بيد جماعة من غلمانه عند خروجه إلى الصيد فاستولى على الأقليم رجل يقال له عبدالجبار ثم وثب غلمان هارون على عبدالجبار فقتلوه وولوا إسماعيل ابن التونتاش ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م[٤].

كل هذه الفتن مهدت الطريق أمام دولة جديدة هى دولة السلاجقة.

٤ - إقليم خوارزم بين الغزنويين والسلاجقة:

ظل إقليم خوارزم تحت حكم الدولة الغزنوية، حتى قيام دولة السلاجقة.

أ - أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق:

يجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز[٥]، الذين

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٩٤، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦ لمعرفة أحداث الحرب بين السلطان محمود والخوارزميون واستيلاءه على خوارزم ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م. راجع البيهقى نقلا عن أبى الريحان البيرونى من كتابه المفقود تاريخ خوارزم. تاريخ البيهقى، ص ٧٣٦ - ٧٤٦، بارتولد: تركستان، ص ٤١٥ - ٤١٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٩٥، ابن خلدون: العبر، ج٤، قسم٤، ص ٤٤٦، ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، ج١٤، ص ١٢١، ألتونتاش: التون كلمة تركية معناها ذهب. النسوى: محمد بن أحمد النسوى ت ٦٣٩هـ/ ١٤٢١م، مسيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، تحقيق د/ حافظ محمد حمدى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٣م، حاشية ٦، ص ٣٨.

(٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٤٦، بارتولد: التركستان، ص ٤٩.

(٤) أبو الفدا: (عماد اليدن إسماعيل أبى الفدا)، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، المختصر فى أخبار البشر، مجلدان ٤ أجزاء، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون، مج١، ج٢، ص ١٦٦، ولقد ذكر أبو الفدا. التونتاش بالطيطاس، ولكنا فضلنا ذكر التونتاش كما جاء فى معظم المصادر التاريخية.

(٥) الغز (الأوغوز): لفظ يقع على ما يتوالد بين العجم فى المدن من نسائهم، وقيل الغز لفظ يقع على جنس العجم كله، وقيل الغز فى جنس العجم كالمولدة فى العرب، وقيل لفظة الغز تقع فى التركى=

ظهروا فى التاريخ كمجموعة تركية تابعة للإمبراطورية التركية فى القرن السادس الميلادى[١] . وينكر الدوادارى[٢] عليهم هذا النسب، ويقول أنهم من السامانية، ويرجع أصولهم إلى الفرس ملوك العجم، ولكن أصلهم التركى هو الأصح[٣].

والسلاجقة أحد فروع هذه القبائل التركمانية الغزية[٤]، وتعرف قبيلتهم باسم قذق[٥] وقد عرفوا بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق[٦]، أحد رؤساء الأتراك، وكان دقاق مقدم الأتراك الغز، يرجعون إليه ولا يخالفون له أمرا[٧]، وقد عرف بشهامته وحسن تدبيره[٨].

=والتركمانى والقفشق والجنس والمولد: وقيل من ولد عامور بن يافث بن نوح، وقيل الغز بجنس التركمانى والتركى أفعد، وقيل الغز جبل من الشام. المقريزى: (أحمد بن على المقريزى)، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، عدة أجزاء، صححه ووضع حواشيه د/ محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٩م، ج١ قسم١، حاشية ٧، ص ٣١.

(١) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٦.

(٢) الدوادارى: (أبو بكر عبد الله بن أيبك الدوادارى)، كنز الدرر جامع الغرر، الجزء السادس، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٣٤، تاريخ، بعنوان الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية، ميكروفيلم رقم ٦٤٨٣، ورقة ٢٠ وما بعدها.

(٣) أحمد الشامى: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط١، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م، ص ٣٢، وكان الموطن الأصلى للشعوب التركية ومنها الغز هى سهول أوراسيا التى هى مناطق تابعة للجمهوريات الإسلامية الحالية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى سابقا أو الصين الشعبية . سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٢٢.

(٤) القبائل التركمانة: من الأتراك الذى ينتمى إليهم الغز، وكلمة تركمان كلمة مجهولة الأصل والمنشأ، ويقال أنها ذات أصل فارسى (ترك مانند) أى (أسباه الترك) أو «ترك كردن» أى الترك والابتعاد. بارتولد: تاريخ الترك، ص ١٠٦، عبد النعيم حسانين: قاموس الفارسية، دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٥٩.

(٥) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٢٧، دائرة المعارف الإسلامية، مج٢، ص ٢٤.

(٦) دقاق: تقاق (يقاق)، اسم مقدم السلاجقة الحسينى (صدر الدين على ابن ناصر الحسينى)، ت ٦٢٢هـ/ ٢٢٥م. زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، تحقيق د. محمد نور الدين، ط٢، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، حاشية (١)، ص ٢٣، أما سلجوق بن دقاق عرف ب، (تيمور بلغ) أى «ذى القوس الحديد»، دائرة المعارف الإسلامية، مج١٢، ص ٢٤.

(٧) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج١، ج٢، ص ١٦٣.

(٨) الراوندى: (أبو بكر محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد بن الحسينى بن همة الراوندى)، ت ٥٩٩هـ/ ١٠١٩م، راحة الصدور وآية السرور، نقله إلى العربية د/ إبراهيم أمين الشواربى، د/ عبد النعيم حسانين، د فؤاد عبد المعطى الصياد، راجعه د/ إبراهيم أمين الشواربى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٤٦: ١٤٧.

أخذت قبائل الغز التركمان ترحل من موطنها الأصلى أقصى سهول التركستان[١]، على شكل موجات خلال القرون (الثانى والثالث والرابع للهجرة)[٢].

وفى سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م استقرت هذه القبائل فى بلاد ما وراء النهر[٣]، وكانوا كثيرى العدد، ولديهم المال الوفير، يعتمدون على الخيول فى رحيلهم من جهة إلى أخرى[٤].

وقد هاجرت هذه القبائل إلى بلاد ما وراء النهر لدوافع عديدة منها ضيق رقعة ديارهم وقلة مراعيهم[٥]، والتنازع واستمرار الحروب فيما بينهم، أو غلبة قبائل أكثر قوة عليهم، وسيطرتهم على أراضيهم خصوصا إذا ما كثر عدد أفراد القبائل، فعجزت موارد الرزق عن كفايتهم، أو حدث قحط جعل هذه الأماكن لا تصلح لاستمرار الحياة فيها، وقد وجهت هذه القبائل وجهها شطر الغرب واستقرت فى بلاد ما وراء النهر خراسان[٦].

ويذهب البعض إلى أن السلاجقة دخلوا فى الإسلام، بعد أن اعتنقوا المسيحية، ويستندون فى تأييد قولهم بأسماء ميكائيل وموسى وإسرائيل التى تسمى بها ملوكهم وأولادهم، وهى من الأسماء التى وردت فى الكتاب المقدس[٧].

ولقد عرف الغز السلاجقة الإسلام والمسيحية بواسطة خوارزم وهى البلاد المتدينة التى كان بينها وبين الغز علاقات تجارية وثيقة[٨]، مما كان له آثر كبير فى التقريب بينهم وبين السامانيين، فدخل قسم الغز المسلمين فى خدمة السامانيين، وتعهدوا بذلك فى مقابل المراعى التى أعطيت لهم، على أن يدفعوا عن حدود ممتلكات السامانيين ضد إخوانهم من الغز الذين لم يدخلوا فى الإسلام[٩].

(١) الروانـدى: راحة الصدور آية السرور، ص ١٤٥.
(٢) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٧: ٥٨، محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٤.
(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٥.
(٤) الروانـدى: راحة الصدور وآية السرور، ص ١٤٥.
(٥) الروانـدى: المصدر السابق، ص ١٤٦، عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٦.
(٦) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٢٧، عبد النعيم حسانين: المصدر السابق، ص ١٦.
(٧) دائرة المعارف الإسلامية، مج١٢، ص ٢٥، مادة سلاجقة.
(٨) بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ص ١٠٣.
(٩) بارتولد: تاريخ الترك، ص ١٠٤، محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، ص ٥٩، ٦٠.

وهكذا وضع السلاجقة أنفسهم فى حروب طويلة، وكانوا جاهزين لتقديم خدماتهم لمن يطلبها ويدفع أكثر، أو يسمح لهم بالإقامة، وتأمين المراعى للماشية[١].

وتوفى الأمير سلجوق بن دقاق، بعد أن عاش مائة سنة أو يزيد، ولقد رأى فى منامه ذات ليلة أنه سيبول نارًا يتلظى شررها فى مشارق الأرض، ومغاربها فسأل المعبر، فقال سيولد من نسلك ملوك يملكون أقاصى الأرض[٢].

ولقد تحققت هذه الرؤية حيث كان لسلجوق أربعة أولاد من الذكور: أرسلان (إسرائيل)، وميكائيل، وموسى، وبيغو[٣] (بغو أو بونو)[٤] وابن خامس هو يونس حسب ما أورده الراوندى[٥].

وقاد إسرائيل أكبر أبناء سلجوق، هجرة السلاجقة بعد أبيه، حيث اتجه نحو خراسان[٦].

ب - الصراع السلجوقى الغزنوى فى خوارزم:

فى عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، أسر السلطان محمود إسرائيل (أرسلان) وبقى فى الأسر مدة سبع سنوات حتى أدركته الوفاة[٧].

وفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م، عبر السلاجقة بقيادة ميكائيل بن سلجوق نهر جيحون لتبدأ قصة أخرى فى تاريخ السلاجقة، حيث تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام قومه فى إقليم خراسان وتوحيد صفوفهم[٨]، وتحين فرصة الأخذ بالثأر من الغزنويين والقضاء على نفوذهم فى خراسان، وبلاد ما وراء النهر[٩].

ولكن أهل بعض المدن فى خراسان، فى نسا[١٠] وباورد[١١]، اشتكوا إلى

(١) محمد عبد العظيم: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، ص ٣٩، سهيل زكار: مدخل إلى الحروب الصليبية، ص ٣٧.
(٢) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٥.
(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٥.
(٤) بيغو (بغو أو بونو): معناه الغزال، فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية ١، ص ١٢٨.
(٥) الروانديى: راحة الصدور وآية السرور، ص ١٤٦.
(٦) عباس إقبال: إيران بعد آلام، ص ٢٢٨.
(٧) الروانديى: راحة الصدور، ص ١٤٩ - ١٥١.
(٨) محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص ٤٤.
(٩) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران، ص ٢٦.
(١٠) نسا «هى مدينة بخراسان» راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٣٨٤: ٣٨٥.
(١١) باورد: هى مدينة بخراسان: راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، مج٢، ص ٢٦٥.

السلطان محمـود وطلبوا إليه إبعاد السلاجـقة من جوارهم ودارت معارك عنيفـة، انتصر السلاجقة[١] فيها، ألا إن حضور السلطان بنفسه أحال النصر إلى هزيمة نكراء للسلاجقة قرب رباط فراوه[٢]، حيث قـتل ميكائيل، ومـعه أربعة آلاف فـارس من خيرة فـرسان السلاجقة[٣].

وفى رباط فراوه، تجـمع السلاجـقة بعـد هزيمتهم، تحـت قيادة ابنى مـيكائيل بن سلجوق وهما جغرى بيك داود، وطغرل بك أبو طالب محمد[٤]، وتم اختيار طغرلبك ليكون القائد، فصـمم على تحقيق أهداف السلاجقـة التى ترمى إلى إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلامى كله لو استطاعت إلى ذلك سبيلا[٥]، ويعتبر طغرلبك المؤسس الحقيقى لدولة الأتراك السلاجقة فى إيران والعراق[٦].

توفى السلطان محـمود الغزنوى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، فـانتهز الأخوان جـغرى بيك وطغرل بك الفرصـة، فأعدوا جيشـا قويا، وتمكنوا من توسيع رقعة أراضـيهم حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعا لنفوذهم[٧].

أثناء الصراع السلجوقى الغزنوى، كان على خوارزم التونتاش، وعندما توفى تولى ابنه هارون التـونـتـاش ولاية خـوارزم (٤٢٣ - ٤٢٦هـ/ ١٠٣٢ - ١٠٣٥م) من قـبل السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين[٨].

(١) البندارى: (الفتح بن على بن محمد بن محمد البندارى الأصفهانى)، ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، تاريخ دولة آل سلجوق، هو اختصـار للإمام عماد الدين محمد بن محـمد بن محمدين حامد الأصفـهانى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجـديدة، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧، ويرجع فامبرى سبب هزيمة السلاجقة أن أمير خوارزم هارون بن التونتاش تظاهر بصداقته للسلاجقة ثم غدر بهم، تاريخ بخارى، حاشية١، ص ١٣١.

(٢) فراوه: بلد مما يلى خوارزم ويقـال لها رباط فراوه بناها عبد الله بن طاهر فى خـلافة المأمون، راجع أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٩.

(٣) الروانـدى: راحة الصدور، ص ١٥٤.

(٤) جغرى وطغـرل: هما لفظان تركيان، الأول جغرى مـعناه اللامع أو المتألق. أما الثانى طغرل مـصغر دو غراول: أى القصاب، وهو مشتق من فعل (دو غـرامق) أى أن يذبح، ويخطئ المستشرقون حين يظنون أن لفظ جغـرى هو لفظ جعـفر فحـرف، وحين ربطوا كلمـة طغرل مع كلمة دوغـرو، أى المستـقيم، فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية (١)، ص ١٢٩،
Mehemet Altay Koymen: Tugrul Beyve Zamani, Istanbul, 1976, P2-5

(٥) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٣١.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٥، ص ٣٤٩.

(٧) الروانـدى: راحة الصدور، ص ١٥٤.

(٨) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشـر، مج١، ج٢، ص ١٦٦، كليفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص ١٥٧.

وفى سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، خيم السلاجقة بظاهر خوارزم، ولكن هارون غدر بهم، فأكثر فيهم القتل والنهب والسلب، فساروا عن خوارزم إلى جهة[١] مرو[٢]، فاستغل السلطان مسعود الفرصة، وأعد جيشا كبيرا[٣]، وهزم السلاجقة هزيمة نكراء[٤]، وانشغل الجيش الغزنوى بجمع الغنائم مما أتاح الفرصة لقواد الجيش السلجوقى لترتيب صفوفهم، ودارت معركة رهيبة بين الجيشين عند «نسا» انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين[٥]، مما دعا السلطان مسعود للموافقة على الصلح مع السلاجقة[٦] فأصبح السلاجقة أشد قوة وبأس[٧].

أدرك السلطان مسعود أهداف السلاجقة، وأعد العدة لقتالهم وعاود السلاجقة غاراتهم على نطاق أوسع من قبل، وعجز الحكام المحليون عن وقف تلك الغارات المفاجئة التى وجهها السلاجقة على أراضى الغزنويين[٨].

وفى خوارزم قتل هارون بن التونتاش، وتولى أخوه إسماعيل خندان[٩] بن التونتاش ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م، من قبل السلطان مسعود[١٠].

وفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م، استولى جغرى بك على مرو، واستجاب سكان مرو للسلاجقة، وانضموا تحت لوائهم حين أدركوا ما أصاب الغزنويين من ضعف[١١].

وفى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، عاد السلطان مسعود من بلاد الهند وكتب إلى أمير

---

(١) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج١، ج٢، ص ١٦٦.

(٢) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، لفظ مرو بالعربية الحجارة البيض، راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٢٥٣: ٢٥٦.

(٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٢٠ - ٥٢١، كان البيهقى يشغل وظيفة نائب ديوان الرسائل فى بلاط السلطان مسعود، وكتب هذا الكتاب باسمه (صحائف مسعودى)، وكان شاهد عيان على حروب الغزنويين حتى سقوط السلطان مسعود.

(٤) أبو الفدا: المختصر، مج١، ج٢، ص ١٦٤.

(٥) الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٦) لمزيد من التفاصيل راجع البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٢٨ - ٥٢٩، الروندى: راحة الصدور، ص ١٥٧.

(٧) الروندى: راحة الصدور، ص ١٥٧.

(٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٣.

(٩) خندان: معناها الضاحك. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٥٣.

(١٠) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٥٤.

(١١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٤٠: ٤١.

خراسان «سوباشى»[١]، وأمره بالخروج لملاقاة السلاجقة، فسار مع جيش كامل الأهمية كثير العدد والآلات[٢]، ودارت معركة كبيرة عند مدينة سرخس[٣]، انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة، وبهذا الانتصار اشتدت جرأتهم وعظمت شوكتهم وانتشروا فى خراسان[٤].

* * * * * *

(١) سوباشى: لفظ أيغورى معناه قائد الجيش. فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية (١)، ص ١٣٣.
(٢) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٩٠.
(٣) سرخس: مدينة قديمة من نواحى خراسان، كبيرة واسعة بين نيسابور ومرو. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ٣٧.
(٤) الروانديى: راحة الصدور، ص ١٥٨.

obeikandl.com